مؤتمر المرأة العالميّ الرابع

بيجينغ ٤-١٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥

الأب كميل حشيمه اليسوعيّ *

إلتأم في العاصمة الصينيّة بيجينغ، بين الرابع والخامس عشر من شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥، المؤتمر العالميّ الرابع المخصّص بدراسة شؤون المرأة. وكان هذا اللقاء أضخم ما نظّمته الأمم المتّحدة من نوعه في تاريخها، إذ اجتمع آنذاك ما يناهز الـ ٤,٨٠٠ مندوبة، يمثّلن ١٨١ بلدًا، فضلًا عن تجمّع آخر موازٍ أُقيم في مدينة هوايرو على بعد ٥٠ كيلومترًا من بيجينغ. وقد ضمّ منتدى هوايرو هذا ما يقارب الـ ٤٠,٠٠٠ مشتركة يمثّلن المنظّمات غير الحكوميّة، وافتُتح يوم ٣٠ آب/ أغسطس أمام نحو ١٨,٠٠٠ امرأة. وهذا اللقاء هو أيضًا أكبَر تجمّع تقوم به المنظّمات النسائيّة الآتية من كلّ أنحاء العالم، ويُعتَبَر من وسائل المنظّمات غير الحكوميّة للتأثير في الدول التي تتّخذ القرارات إبّان المؤتمرات الرسميّة.

أ - المؤتَمرات السابقة والأوضاع الراهنة

يندرج لقاء بيجينغ في سلسلة من لقاءات أُخرى سبقته، نظّمتها الأمم المتّحدة، والتأمت كلّ خمس سنوات، منكبّةً على أوضاع المرأة في

(*) مدير دار المشرق ومجلّة المشرق

العالم. وكان أوّلها مؤتمر مدينة مكسيكو عاصمة المكسيك، العامَ ١٩٧٥. وموضوعاته الأساسيّة كانت ثلاثة: المساواة - التي تنشدها المرأة -، التنمية - التي لا بدّ منها على وجه الإجمال ليتسنّى تنمية المرأة على وجه خاصّ -، والسلام - الذي بدونه تعاني المرأة أكثر من سواها، وهو ضروريّ لإحلال المساواة ودفع عجلة التنمية.

وأقيم المؤتمر الثاني في عاصمة الدانمرك، كوبنهاغن، العامَ ١٩٨٠، وتركّزت موضوعاته على نواح ثلاث: العلم والعمل والصحّة. ولا يخفى ما لهذه الأمور من أهمّيّة لرفع شأن المرأة.

والتأم اللقاء الثالث في نَيروبي، عاصمة كِينيا، في العام ١٩٨٥، وعالج ما عالجه سابقاه.

أمّا مؤتمر بيجينغ، فلم يشذّ عن قاعدة المؤتمرات الأُولى لجهة الأهداف المرسومة، وسعى إلى عرض ما حُقّق حتّى اليوم وتقويمه ووضع خطّة للمستقبل، لا سيّما القريب منه، أي للسنوات التي تفصلنا عن نهاية هذا القرن، تاريخ انعقاد المؤتمر التالي. ويلفت النظر سرعةُ التواتر بين مؤتمر وآخر، ولا عجب، فالتسارع في عالم اليوم ظاهرة واضحة، والوقت لا يرحم، وأوضاع النساء في أغلبيّة البلدان، إن لم يكن في جميعها، ليست على خير ما يرام، ولا يختلف في ذلك اثنان.

أوضاع غير مرضية

فلئن ضربنا صفحًا عن بعض الاستثناءات التي سجّلها التاريخ ماضيًا حول ما حقّقته بعض النساء الشهيرات، لرأينا أنّ ما اضطلعت به المرأة من دَور حتّى أيّامنا، لا يساوي ما هي قمينة بأن تقوم به، لا بل لَمسنا أنّها مغبونة وحتّى مظلومة في كثير من أمورها[1]: وحالات الجَوْر التي يشكوها

(١) يتغنّى الستفائلون بما أنجزته بعض الملكات الثابغات، كزنوبيا عاهلة تدمر في القرن الثالث الميلاديّ، أو تلك الإمبراطورة الصينيّة، من سلالة تانغ، التي جلست على سدّة الحكم طوال أربعين سنة (٦٦٥م إلى ٧٠٥م). ويبرزون ما وصلت إليه بعض الأديبات والشاعرات، أو بعض الفاضلات الحكيمات، من شُهرة فتحت لهنّ أبواب النفوذ. ولكنّ ذلك كلّه أشبه بمثقال ذرّة إذا ما قِيسَ بالمسؤوليّات الجسيمة التي أُنيطت بالرجال، أو التي استأثر بها هؤلاء، على مدى الأجيال.

النساءُ عامّةً، وشكّلْن منها في بيجينغ خاصّةً، كثيرة في بلدان العالم كافّةً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، بدءًا ممّا هو أشدّ إجحافًا بهنّ:

- **وأد البنات**: وقد يستغرب القارئ ذكر هذه الآفة في عصرنا، ظانًّا أنّها ذهبت مع تولّي عصر الجاهليّة. ولكنّ الوقائع شاهدة، وما زالت تلك العادة باقية في الصين مثلًا، على الرغم من مرور قرن على حركات التحرّر في تلك البلاد[٢].

- **إستعباد المرأة على أنواعه**: فما زالت الفتيات في الصين يُبَعْنَ بأثمان باهظة أو بخسة في البلد المذكور، لا سيّما في الأرياف. وسُجّل بين ١٩٨٠ و١٩٨١ بيع ١١٥ امرأة بمبلغ إجماليّ مقداره ١٤,٠٠٠ دولار[٣]. ويعرف القاصي والداني أمر تجارة الرقيق الأبيض المتفشّي في معظم بلاد المعمورة، حتّى في تلك التي تدّعي التشدّد في الحفاظ على الأخلاق وحقوق الإنسان. وما سبب ذلك إلّا سيطرة جنس الرجال على ما درجت تسميتُه بالجنس الضعيف[٤].

- **سوء أوضاع الأرامل في بعض الأقطار الآسيويّة**: فالترمّل حُسب في الصين، حتّى عهدٍ قريب، لعنةً تنصبّ على المرأة، وكان الزواج بأرملةٍ عارًا لا يرضى به إلّا مَن نقص عقلُه. هذا الوضع المخزي الذي فُرض

---

(٢) صحيفة النهار البيروتيّة، ٢٤/٨/١٩٩٥، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ومن مظاهر العنف الذي تعانيه النساء على الرجال، ما يسمّيه أهل باكستان «الموت بالفرن». فقد أوردت «جمعيّة النساء التقدّميّات» في هذا البلد إحصاءات تفيد أنّ بضع مئاتٍ من التعيسات يمتن كلّ سنة، خاصّة في إقليم السجاب، بسبب احتراق الحجاب الذي يغطّي رؤوسهنّ ويُدعى بلغتهنّ «شلوار قميز». ويعود ذلك، كما بيّنته السيّدة شهناز بخاري، رئيسة الجمعيّة المذكورة، إلى أنّ الرجال، الناقمين على زوجاتهم، يلجأون إلى رشّهنّ بالكاز واحراقهنّ مدّعين أنّهنّ احترقن لاقترابهنّ من أفران الغاز في المطابخ. وقد تحرّت شهناز بخاري عن نحو أربعين حادثة احتراق «بالفرن» مشكوكٍ في أمرها. فلم يجرؤ شاهد واحد على الإدلاء بشهادته على الرغم من تضافر الأدلّة التي تدين الرجل. وكثيرًا ما تتواطأ الشرطة و«الجنس القويّ» على هذا الأمر (راجع صحيفة *L'Orient - Le Jour* البيروتيّة، تاريخ ٢/٩/١٩٩٥، ص ٩).

على المرأة في الصين، قابَله وضعٌ مشابه في جارتها الهند. وتحوم الشبهات حول زوال عادة ما يُسمّى «ساتي» التي تقضي بأن تُقدم الأرملة على إحراق نفسها في النار التي تُحْرَق فيها جثّةُ بعلها[٥].

- **القساوة في معاملة المرأة الزانية**، خلافًا لما هو من أمر الرجل: إنَّ القانون والتقليد يحلّلان للزوج قتلها من غير عقاب يُذكر في كثير من أقطار العالم الثالث، وبلادنا المربيّة تتسامح، ويا للأسف، مع ما يُعرف بجرائم تحصيل الشرف وغسل العار.

- **الطلاق التعسّفيّ**، خاصّةً في بلدان العالم الثالث: حيث لا يندر أن تُحرم المرأة حقّ المبادرة في عمليّة الطلاق، في حين يتمتّع الرجل بهذا الحقّ إلى حدّ اللجوء إليه اعتباطًا وبإسراف.

- **ختان الإناث** في كثير من البلدان، الإفريقيّة منها خاصّةً: لقد أشار محمّد مصطفى خليل، من منظّمة حقوق الإنسان المصريّة، أنّ «نحو ١٣٠ مليونًا من الإناث في أكثر من ٣٠ بلدًا أُجريت لهنّ عمليّة الختان، وأنّ مُهاجِرات من إفريقيا إلى الغرب ما زلن يحافظن على هذا التقليد، موضحًا أنّ خمسًا من النسوة تُجرى لهنّ عمليّة الختان كلّ دقيقة، أو مليوني امرأة على مستوى العالم كلَّ سنة. (...) وأكّد أنّ ٩٠ في المائة من إناث ريف مصر و٦٥ في المائة من نساء الحَضَر تُجرى لهنّ عمليّة الختان التي تتمّ، في معظم الأحوال، في ظروف غير صحّيّة»[٦].

- **إنتقاص حقوق النساء في مجالات العمل والرواتب**: فجميع

---

(٥) النهار، ٢٤/٨/١٩٩٥، ص ١٦.

(٦) النهار، ٢/٩/٩٥، ص ١٣. إلّا أنّ الجريدة المذكورة أوردت في عددها الصادر يوم ١٨/٩/٩٥، ص ١٢، أنّه، بالاستناد إلى وكالة الصحافة الفرنسيّة، «أفاد مصدر قضائيّ أنّ الأزهر، أعلى هيئة سنّيّة في مصر، أصرّ السبت على موقفه المؤيِّد ختان الفتيات، في إطار دعوى أقامتها عليه المنظّمة المصريّة للدفاع عن حقوق الإنسان. وأوضح أنّ محامي شيخ الأزهر الإمام جاد الحقّ عليّ جاد الحقّ قدّموا إلى محكمة الدرجة الأولى في القاهرة، آراء عدد من الأطبّاء الذين يؤيّدون ختان الفتيات. كذلك تحدّثوا عن أبحاث أجريت في فرنسا ونقلتها جريدة الأهرام الحكوميّة المصريّة تؤكّد، على حدّ قولهم، أنّ ختان الفتيات يقلّل مخاطر الإصابة بمرض قصور المناعة البشريّة المكتسَبة (إيدز)».

الدراسات التي قام بها الباحثون في هذا الصدد، تُبيّن أنّ ثمّة تميزًا، أشبه بالتميز العنصريّ، يُلحق بالمرأة ظلمًا لا ترضى عنه. وبحسب وثيقة صادرة عن مكتب العمل الدوليّ وزِّعت يوم الخميس ٧ أيلول في بيجينغ، تعمل النساء أكثر من الرجال بمعدّل ساعتين في النهار، ورواتبهنّ أقلّ من رواتب الرجال بنسب تتراوح بين ٥٠ و٨٠ بالمائة. وفي إحصاءات جرت سنة ١٩٨٠ كانت نسبة النساء في دوائر العمل كما يلي: ٣٨٪ النسبة العامّة، وفي الزراعة ٤٠-٥٠٪، وفي الصناعة ٣٣٪[٧]. أمّا في البلاد العربيّة، فنسبة النساء في سوق العمل ما زالت متدنّية جدًّا حتّى يومنا هذا، إذا ما قُورنت بالنسبة العالميّة السابقة الذكر، والمسجّلة منذ ١٥ سنة. فقد أعلنت قرينة رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة، السّيّدة منى الهراوي، في أثناء حلقة عمل شاركت فيها ببيجينغ، أنّ نسبة النساء اللبنانيّات في سوق العمل، وهي الأعلى في الدول العربيّة، لا تتجاوز الـ ٢٧ في المائة[٨].

- غياب المرأة عن مراكز القيادة، سواء أفي الميدان السياسيّ، أم في الحقل الدينيّ: فعلى الرغم من ازدياد عدد النساء اللواتي يرئسن حكومات أو دولًا، حتّى في العالم الثالث، فليس في الوقت الحاضر سوى عشر منهنّ يضطلعن بمثل هذه الوظائف: كالسّيّدة خالدة ضياء رئيسة حكومة بنغلاديش، والسّيّدة بنازير بوتو رئيسة حكومة باكستان، والسّيّدة تانسو تشيلر رئيسة حكومة تركيا، أو السّيّدة غرو هارلم برنتلاند صغرى رئيسة حكومة في تاريخ نروج، أو رئيسة إيسلندا السّيّدة فيغديس فينبوغادوتر. ومعلوم أنّ الدول القائمة حاليًّا في العالم تناهز المائتين. فبين هذا العدد وعدد النساء الحاكمات بون شاسع. كما أنّ عدد النساء

---

(٧) النهار، ١٩٩٥/٨/٢٤، ص ١٦.

(٨) النهار، ١٩٩٥/٩/٧، ص ١٤. وتجدر الإشارة في المناسبة إلى أنّ أرضاع المرأة هي، على كلّ حال، في تقدّم. وقد أوردت زوجة الرئيس الهراوي في كلمة لبنان التي ألقتها أمام المؤتمرات في بيجينغ، أنّ التشريع اللبنانيّ رفع بعض الحيف اللاحق بالمرأة، فقد جرى الاعتراف بأهليّتها للشهادة في السجلّ العقاريّ (١٩٩٣)، وبحقّ المتزوّجة في ممارسة التجارة (١٩٩٤). أطلب النهار، ١٩٩٥/٩/٨، ص ١٣.

الوزيرات أو المنتخَبات في المجالس النيابيّة هو ضئيل جدًّا حتّى اليوم في العالم. وفي بلد كلبنان، حيث تُعتبر المرأة على قسط وافر من التحرّر والتقدّم، ليس من امرأة واحدة في ميدان الوزارات، وبين نوّابه الذين ينيفون على المائة، هناك ثلاثُ نساء فقط.

وفي الحقل الدينيّ يشكو النساء تسلّط الرجال واعتبارهم النساءَ غير صَالحات للاضطلاع بالمسؤوليّات. وقد انتهزن مناسبة انعقاد منتدى هواريو لإعلان استيائهنّ من هذا الوضع، فكانت مداخلاتهنّ أشبه بحرب تُشنّ خاصّةً على الحركات الأصوليّة أو التقليديّة المتشدّدة. وممّا لفت النظر بين تلك التصريحات، ما قالته ممثّلات «لجنة الدفاع عن النساء في إيران» وجماعة «النساء الإيرانيّات في المنفى»، إذ دعون النساء إلى «إظهار غضبهنّ في وجه النظام الدينيّ القائم في إيران. وممّا ذكرنَ غيرَ راضيات، أنّ الطلاق «مسموح للرجال فقط»، وهؤلاء يستطيعون الاقتران «بأربع نساء أو أكثر». وبعض المهن، كمهنة القضاء، محصور بالرجال، والمرأة، من الناحية القانونيّة، «تساوي نصف الرجل»[٩]. وكذلك احتجّت نساء إسرائيليّات على إجراءات الطلاق في بلدهنّ، ورأين أنّ تغيير الأوضاع وتحسينها سيتمّان يوم يتاح للمرأة الوصول «إلى مراكز رفيعة» في التراتبيّة الدينيّة[١٠]. وهذا ما يذكّر بالحملات النسائيّة في بعض بلاد الغرب، للسماح بمنح النساء درجة الكهنوت.

- تفشّي الأمّيّة: فتعليم المرأة ما زال متعثّرًا في كثير من البلدان. وما دامت المرأة غير متعلّمة، تظلّ عرضةً لتسلّط الرجال وتُستباح كرامتها. إلّا أنّ محاربة الأمّيّة قائمة على قدم وساق في مناطق كثيرة من

---

(٩) راجع *L'Orient - Le Jour*، ٢/٩/١٩٩٥، ص ٩.

(١٠) المرجع نفسه. وممّا قالته وُلى دانشي، وهي ناشطة كرديّة في مجال الدفاع عن حقوق المرأة: «أعتقد أنّ مشكلتنا كمسلمين هي عدم مشاركة النساء في تفسير القرآن (...) ليس ثمّة دين يوصي بقمع النساء. إنّه استغلال الرجال للدين لتحقيق مصالحهم» (النهار، ٤/٩/١٩٩٥، ص ١٣).

العالم، ممّا يدعو إلى التفاؤل[11]. فهل ساهم مؤتمر بيجينغ في تثبيت هذا التفاؤل؟ وماذا عن ماجَرَياته؟

ب - التحضير والتحذير

أمام لائحة الشكاوى النسائيّة الطويلة، ثارت حميّة المنظّمات المهتمّة بالمرأة في العالم بأسره، وحذت حذوها الدوائرُ الحكوميّة، فراحت تتهيّأ للمؤتمر أشْهُرَ قبل انعقاده. وعلى سبيل المثال، ذُكر أنّ الوفد اللبنانيّ راح يعدّ عدّته أحد عشر شهرًا قبل موعد المؤتمر، وضمّ ممثّلات عن الوزارات واللجان الأهليّة والمحاميات والباحثات.

وتخوّف كثيرون ممّا سيحدث في المؤتمر، إذ كان من المنتظر أنّ مشاكل عديدة ومسائل حسّاسة ستثار فيه، ممّا يهدّد بالتعرّض لأوضاع راهنة راسخة الجذور، لا بل لمقدّسات ومحرّمات.

فعلى الصعيد المدنيّ، احتاطت السلطات الصينيّة لكلّ طارئ أمنيّ أو أخلاقيّ، وخشيةً أن تقوم جماعات الشاذّات جنسيًّا من التظاهر وحتّى من الظهور على نحوٍ مثير، صادرت الحكومة مطبوعات تلك الجماعة باللغة الصينيّة باعتبار أنّ الشذوذ غير موجود في الصين[12].

---

(١١) جاء في كلمة السيّدة منى الهراوي أمام المؤتمرات أنّ عدد العنصر النسائيّ بين الطلّاب الجامعيّين اللبنانيّين كان ٢٥,٢ بالمائة عامَي ١٩٧٣-١٩٧٤، فارتفع إلى ٤٨,٢ بالمائة عامَي ١٩٩٣-١٩٩٤ (النهار، ١٩٩٥/٩/٧، ص ١٤). ونرى تقدّمًا ملحوظًا أيضًا في سائر البلاد العربيّة، وإن لم يصل إلى ما هو عليه في لبنان. أطلب مقال صلاح أبو جودة اليسوعيّ بعنوان: «واقع التربية في البلدان العربيّة على مشارف القرن العشرين»، المشرق، عدد تمّوز - كانون الأوّل ١٩٩٥، ص ٣٠٩-٣١٩. ومّما ورد في هذه الدراسة أنّ نسبة الفتيات في التعليم عامّة بالبلدان العربيّة ارتفعت من ٣٧٪ عام ١٩٧٥ إلى ٤٣٪ عام ١٩٩١، وفي التعليم العالي من ٢٨٪ عام ١٩٧١ إلى ٣٧٪ عام ١٩٩١.

(١٢) النهار، ١٩٩٥/٩/٤، ص ١٣. وفي نشاط مماثل لنشاط الشاذّات، كانت بنات الهوى، أو العاملات في الجنس كما يفضّلنّ أن يُدعَيْن، يطالبن «بحقوقهنّ». فقالت إحداهنّ، بريترن جو دويزيما، عضو «شبكة المشاريع الجنسيّة المشاركة»: «يجب إلغاء تجريم الدعارة، والاعتراف بالعمل الجنسيّ عملًا مشروعًا، وتوفير الحماية والحقوق نفسها، التي يتمتّع بها العامل، لبنات الهوى»! (المرجع نفسه).

أمّا على صعيد الأخلاق والمبادئ، فقد وقفت السلطات الروحيّة الإسلاميّة، والمسيحيّة الممثّلة بالڤاتيكان، موقف الترقّب بل الحذر، لعلمها أنّ غُلاة التحرّر سيمتطون مطيّة المؤتمر ليبثّوا أفكارًا لا تقبلها الأديان التوحيديّة، على نحو ما حصل في مؤتمر القاهرة حول السكّان والتنمية عام ١٩٩٤. ومن أبرز المحذّرين من مغبّات مؤتمر بيجينغ، شيخ الأزهر الإمام جاد الحقّ عليّ جاد الحقّ. ففي بيان صدر يوم ٨/٢١/ ١٩٩٥ عن مجمع البحوث الإسلاميّة الذي يرئسه شيخ الأزهر، ندّد سماحته بهذا اللقاء معتبرًا أنّه يرمي إلى «إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة وتحويل الإنسان إلى مسخ لا هو بذكر ولا هو بأنثى»[١٣]. وطالب «الدول والشعوب بإعلان التحفّظ عمّا ورد في برنامج بيجينغ ممّا يخالف الشريعة الإسلاميّة وسائر الأديان السماويّة، أو يتناقض مع القيم الاجتماعيّة والثقافيّة الراسخة ولا سيّما ما يتعلّق بشكل الأسرة ونظامها في هذه الأديان، وإطلاق الحرّيّة الجنسيّة على خلاف ما تأمر به»[١٤]. ورأى أنّ «هدف واضعي برنامج بيجينغ هو تدارك ما فاتهم إقرارُه في مؤتمر القاهرة للسكّان والتنمية»[١٥]. كذلك ندّد البيان بمفاهيم واضعي البرنامج، ومنها تقبُّل العلاقات الجنسيّة الحرّة، واعتبار «الدين عائقًا في سبيل المساواة التامّة بين الرجل والمرأة»[١٦]. وأوصى شيخ الأزهر بالتحفّظ عن هذا البرنامج «حتّى لا تلتزم الأمّة الإسلاميّة شيئًا منه»[١٧].

---

(١٣) النهار، ٨/٢٢/ ١٩٩٥، ص ١٢.

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) المرجع نفسه.

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) المرجع نفسه. ومن الذين تهجّموا على المؤتمر قبل انعقاده، الشيخ عبد العزيز عبدالله بن باز، رئيس هيئة كبار العلماء في المملكة العربيّة السعوديّة. فقد دعا المسلمين من دُبَي، ليلة الأحد ٣ أيلول، إلى مقاطعة مؤتمر بيجينغ لأنّ بعض الموضوعات المدرجة في جدول أعماله تتناقض ومبادئ الدين الإسلاميّ وتساهم في نشر الفحشاء من خلال ممارسة الجنس الآمن، والممارسات الجنسيّة خارج إطار العلاقات الزوجيّة، وتعليم الشبّان والشابّات المسائل الجنسيّة. (النهار د/٩/ ١٩٩٥، ص ١٦).

وصدر بيان آخر عن جهات إسلاميّة، هو بيان حزب الله، الذي أُعلن يوم ١ أيلول، وقد لفت الأنظار لأنّه لم يرفض فكرة المؤتمر جملةً وتفصيلًا، بل دعا إلى العمل من داخله لمنع صدور مقرّرات تتنافى والقيم الروحيّة التي يؤمن بها الحزب. وممّا جاء في هذا البيان[١٨] أنّ جماعات نسائيّة متطرّفة في أميركا كان لها اليد الطولى في إعداد وثيقة المؤتمر، ويترأّس بعض هذه الجماعات نسوة شاذّات. ورفض البيان رفع شعار المساواة بين الرجل والمرأة بدون تمييز، لأنّ من ورائه خطرًا يتمثّل بإلغاء الفوارق الطبيعيّة والبيولوجيّة بين الرجل والمرأة، وتجاهُل الواقع الموضوعيّ والعلميّ والوجدانيّ. فالمساواة الكاملة بين الجنسين تكون في القيمة الإنسانيّة والاجتماعيّة. كذلك رفض البيان ما ورد في برنامج بيجينغ من بنودٍ توحي بأنّ الأسرة ليست سوى عادة بشريّة يمكن الاستغناء عنها، وتلك التي تسعى لضرب التشريعات ذات الأصول الدينيّة كالتي تمتّ إلى الإرث. فالأديان السماويّة وقيمها الأخلاقيّة هي المقصودة من خلال هذه المواجهة المقنّعة، ولم يُخفِ الحزب قلقه العميق من «وقوف جهات سياسيّة وراء هذه المخطّطات الخبيثة ولا سيّما المؤسّسات الصهيونيّة واليهوديّة بغية تفكيك بُنى المجتمع التحتيّة والمقدّسة». وينتهي البيان بمقترحات إيجابيّة تحضّ المؤتمِرات في بيجينغ وجميعَ أفراد البشريّة المعاصرة على «أن يدرسوا حياة شخصيّات عظيمة من الرجال والنساء، أفرادٍ وأُسَرٍ، كنماذج يُقتدى بها للمساعدة على وضع حلّ صحيح للمشكلات الاجتماعيّة والأسريّة، وخاصّةً أنّ في سيرة هؤلاء العظماء صورًا مشعّةً في العلاقات الإنسانيّة والزوجيّة والاجتماعيّة تصلح للنسج على منوالها والاقتباس من نورها، ولتُدرَّس للمَثَل سيرةُ النبيّ عيسى وأمّه السيّدة مريم بنت عمرانَ، وسيرة نبيّنا محمّد وخديجة الكبرى، وسيرة عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء سلام الله عليها، وآخرين من أولئك القدّيسين».

---

(١٨) أطلب: النهار ٢/٩/١٩٩٥، ص ١٨.

ومن جهة المسيحيّين، فقد برز موقف الڤاتيكان. وهو، على الرغم من رغبته في الانفتاح على ما سيُدرس، إلّا أنّه أعرب عن تحفّظاته لا سيّما من «الرغبة في فرض نموذج واحد عالمي إلى المرأة الغربيّة، من غير أن يؤخَذ في الاعتبار التعدّديّة القائمة خارج هذا النمط»[١٩].

وأسف الڤاتيكان أيضًا على غياب الاهتمام الكافي بموضوع العائلة، ذلك بأنّ «تسعًا من كلّ عشر نساء يتزوّجن، وخمسًا من كلّ ستّ نساء يُرزقن أطفالًا». ورأى أنّ عمل المرأة في المنزل لا يُعطى الأهمّيّة التي يستحقّها في المجتمعات الغربيّة.

وأهمّ ما ركّز عليه الڤاتيكان كان موضوع الإجهاض، «فالحقّ المعلَن بالإجهاض يناقض الحقّ بالحياة». وأصرّ أيضًا على رفضه أن تكون «المساواة» بين الرجل والمرأة على حساب إسقاط تميّز المرأة واختلافها، وهو تميُّز إن دلّ على شيء فعلى جوهر أنوثتها[٢٠]. وهنا لا بدّ من الملاحظة كم أنّ مواقف الڤاتيكان وحزب الله والأزهر متقاربة، لأنّها جميعًا ترتكز على المقوّمات الروحيّة نفسها.

ومهما يكن من أمر التحفّظات والتحذيرات، فقد انعقد المؤتمر في موعده غيرَ هيّاب، وبمشاركة المتخوّفين منه.

ج - الافتتاح وفَتْح ما استَغْلَق

تميّز افتتاح المؤتمر باحتفالٍ ضخم على مستوى ضخامة عدد المشتركات والبلدان المشاركة وضخامة البلد المضيف. وأقيم الاحتفال في قاعة الشعب الكبرى، تخلّلته أغانٍ ورقصات، وعُزفت فيه سمفونيّة

---

(١٩) النهار، ١/٩/١٩٩٥، ص ١١

(٢٠) المرجع نفسه. حول تميّز المرأة والتكامل القائم بينها وبين الرجل، راجع رسالة المطران جوزف دوڤال، رئيس أساقفة رُوان Rouens، إلى الكاثوليك الفرنسيّين في ٣٠/٨/١٩٩٥ - نشرها في *La Documentation Catholique*, Paris, 15 oct. 1995, p. 880.

بيتهوفن التاسعة، قبل أن يعتلي الرئيس الصينيّ جيانغ زي مين المنصّة الرئيسيّة مردّدًا في خطابه المَثَل الصينيّ المأثور: «للمرأة نصف السماء». ثمّ أعلنت أمينة المؤتمر العامّة، جيرترود مونجيلا، وسط تصفيق الحاضرين: «بدأت الآن ثورة. لا عودة إلى الوراء، لا عودة إلى الوراء».

وحضر الافتتاح، من كبائر المشتركات، ملكة بلجيكا السابقة فابيولا، ورئيسة إيسلندا فيغديس فينبوغادوتر، ورئيسات الحكومات بنازير بوتو (باكستان)، وخالدة ضياء (بنغلاديش)، وغرو هارلم برنتلاند (نروج)، وعدد من زوجات رؤساء البلدان، كالسيّدات برناديت شيراك (فرنسا)، وهيلاري كلينتون (الولايات المتّحدة)، ومنى الهراوي التي ترأّست وفد لبنان. كما ترأّست زوجات رؤساء بلاد أُخرى وفودَها الوطنيّة، وبينها غانيا ونيجيريا وبنين والبرازيل وبناما وبرليثيا ومصر.

ولم يستطع أمين الأمم المتّحدة العامّ، الدكتور بطرس غالي، الحضور بسبب وعكة صحّيّة ألَمّت به، فناب عنه مساعده عصمت كتّانيّ وألقى كلمةً شخّصت بعض ما تعانيه المرأة، ولكنّها أعربت أيضًا عن أملها «أن يتجاوز هذا المؤتمر حدّ التفكير في التمييز وعدم المساواة، للتمكّن من تفهُّم مطالب النساء بكلّ أبعادها»[٢١].

وممّا لفت النظر في تكوين الوفود الرسميّة ضخامة أعدادها[٢٢]، وتنوُّع مستويات أعضائها، إذ التقى في الوفد الواحد رئيسةُ الدولة والعاملة، الغنيّة والفقيرة، المثقّفة والمرأة العاديّة. واسترعى الانتباه أيضًا أنّ وفد الفاتيكان كان برئاسة امرأة، وهي البادرة الأولى من نوعها تصدر عن عاصمة الكثلكة، والرئيسة هي السيّدة ماري آن غليندُون، أستاذة الحقوق في جامعة هارفرد بالولايات المتّحدة الأميركيّة، يرافقها ثلاث عشرة امرأة وثمانية رجال، بعضهم من الأحبار[٢٣].

---

(٢١) النهار، ٥/٩/١٩٩٥، ص ١٦.

(٢٢) لبنان الصغير مثّله ٢٥ شخصًا.

(٢٣) لائحة الوفد في *L'Osservatore Romano*, 26/8/95. ومعروف عن رئيسة الوفد=

أمّا الموضوعات التي طُرحت على بساط البحث، فسرعان ما بدت شائكةً وعرةَ المسالك. ذلك بأنّ تيّارَين أساسيّين تواجها منذ البداية، كما حصل في القاهرة إبّان مؤتمر الإسكان. فمن جهة قام فريق الدول «المتحرّرة»، ومنها الولايات المتّحدة والاتّحاد الأوروبّيّ يطالب على نحوٍ مثير بأن يُعْتَرَف للمرأة بحقوقها الجنسيّة؛ وقابله من جهة أُخرى فريق الدول «المحافظة»، لا سيّما الإسلاميّة والفاتيكان، ومالطا وغواتيمالا وهندوراس، يدافع عن مواقفه النابعة من معتقداته الإيمانيّة وتقاليده. وكانت المواقف أشبه بالتي عرفها مؤتمر القاهرة. وظهر منذ البداية ٤٣٨ نقطة خلاف، عُرفت بالنقاط التي «بين قوسين»، فكادت أن تُغلق الأبواب في وجه المؤتمِرين. وراح هؤلاء يذلّلون الصعاب باللجوء خاصّةً إلى الحلول الوسط. ومن الأمور التي استقطبت الجهود أكثر من سواها، ثلاثة: الحقوق الجنسيّة، وتعريف الأُسرة، ومفهوم المساواة.

١ - الحقوق الجنسيّة

إحتدم الخلاف حول هذه الحقوق بين الحكومات الليبراليّة والدول «المحافظة». فالأُولى حاولت تضمين الوثيقة النهائيّة إشارةً إلى أنّه يحقّ للمرأة التحكّم في حياتها الجنسيّة وخصوبتها، فيُسمح لها بالإجهاض، ويُعْتَرف بحقوق «الأمّهات غير المتزوّجات»، وكلّ ذلك من باب ربط هذه الحقوق الجنسيّة بحقوق الإنسان. فاعترضت الدول المحافظة، ورفضت باكستان فكرة الأمّهات غير المتزوّجات، وأعلن الفاتيكان وإيران معارضتهما مفهومَ «الحقوق الجنسيّة وحقّ المرأة في التحكّم في خصوبتها»، واكتفيا بالموافقة على أن تتضمّن الوثيقة النهائيّة إشارة إلى وجود «حالات حمل غير مرغوب فيها»[٢٤]. وممّا قالته عضو الوفد

=الفاتيكانيّ أنّها أمّ لثلاثة أطفال وعضو مؤسِّس في الجمعيّة السابقة للدفاع عن حقّ الحياة، وسبق أن وجّهت رسالة إلى الرئيس كلنتون تطلب إليه إعادة النظر في المواقف المناهضة الكاثوليكيّة في إدارته. ومن الأعضاء السيّدة كاثرين هوا هومكواب، وزيرة الصحّة سابقًا في نيجيريا.

(٢٤) النهار، ٧/٩/١٩٩٥، ص ١١.

الإيرانيّ، السيّدة شهلا حبيبي، إنّ المؤتمر استرسل إلى حدّ بعيد في مسألة الإجهاض وكان الأولى به التشديد على كون المرأة أمًّا[٢٥].

إلى ذلك، توصّلت الوفود، في الساعات الأخيرة، إلى اتّفاق يعطي الأبناء حقّ تقرير شؤونهم الجنسيّة ويقلّص سلطة الوالدين في هذا المجال[٢٦].

٢ - مفهوم الأسرة

وقفت الوفود الليبراليّة بحزم في وجه محاولات تعريف الأسرة على نحوٍ تقليديّ، سعيًا منها إلى إضفاء صفة الشرعيّة على الأسر غير المألوفة كالتي تتكوّن من أزواج من جنس واحد، أو من والد واحد، فأثارت هذه الأمور غضب الڤاتيكان وتلا الناطق بلسانه، جواكين نافارو، بيانًا باسم البابا يوحنّا بولس الثاني لاحظ فيه أنّ «مسوّدة الوثيقة في بيجينغ تُصوِّر سلبًا الزواج والأسرة على نحوٍ يوحي بأنّهما يعوقان المرأة عن تحقيق ذاتها». وقال إنّ الأدهى من ذلك أنّ هناك تحرّكات تستهدف استبدال كلمة «الأسَر» بكلمة «الأُسَر» في الوثيقة من أجل إدخال أشكال أُخرى من الأسر غير الأسرة التقليديّة المؤلّفة من أب وأمّ، لتشمل أيضًا أسرة الأمّ غير المتزوّجة، وأسرة أب وأمّ بلا رباط الزواج، وأسرةً تضمّ اثنين من الشاذّين جنسيًّا. ورأى أنّ موقف الاتّحاد الأوروبّيّ من تلك القضايا يتعارض تمامًا وإعلان الأمم المتّحدة العالميّ في شأن حقوق الإنسان. وإزاء هذا التضارب وجدوا حلًّا وسطًا يُرضي الفريق الأوّل بدون أن يثير الفريق الثاني، فاستعاضوا عن كلمة «أُسر» بعبارة «تعدُّد أشكال الأُسرة»، فكانت كلمة «أشكال» مُزيلةَ الإشكال!

٣ - مفهوم المساواة

لمّا كان موضوع مساواة المرأة بالرجل قُطبَ مطالب النساء في

---

(٢٥) *L'Orient - Le Jour*. ١٢/٩/١٩٩٥، ص ٨.
(٢٦) النهار، ١٣/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

بيجينغ، ولمّا كان، في مقابلة ذلك، يثير معارضة المسلمين لا سيّما في شأن الإرث، لمخالفته النصوص القرآنيّة، حملت إيران لواء مناهضة هذا المفهوم. وقالت إحدى مبعوثاته، توران غامشيديان: «إنّ مفهوم المساواة غير مقبول. إنّنا نتمسّك بتعاليم الإسلام ولا يمكن أن نغيّر حكم الله (...). سنمضي قدمًا في طريقنا»[٢٧]. وبالإضافة إلى الموقف المبدئيّ الذي لزمته إيران، قال موفدوها إنّ المساواة أمر نسبيّ يخضع للتفسير. واقترحت الاستعاضة عن الكلمة هذه بكلمة «العدل»، لأنّ حقوق المرأة والرجل في الإسلام «متكاملة» وليست متساوية. وأيّد هذا الاقتراح وفد السودان. ورضي المؤتمِرون بالتسوية، حتّى إنّ مسؤولة من الوفد الأميركيّ الذي كافح لإقرار كلمة «المساواة» بين الرجال والنساء في الإرث قالت: «إنّها تسوية جيّدة، وقد منحت المسلمين ما يريدون من دون أيّ صياغة تحتمل معنَيَين»[٢٨]. وفي الواقع كانت الصيغة التي اتُّفق عليها في النهاية «تحقيق المساواة في حقّ الإرث بصرف النظر عن جنس الولد»[٢٩]. وهكذا «صُرف النظر»، بلباقة، عن نقطة الخلاف!

وبتسوية أمر المساواة، وسواها من العقبات، استطاع المؤتمِرون أن ينقذوا سفينتهم من مخاطر الأنواء، ووصلوا بها إلى ميناء الأمان، وصاغوا، حصيلةً لأعمالهم، بيانًا مستفيضًا يُعْرَف بـ «إعلان بيجينغ» وأرفقوه ببرنامج عمل ضُمِّن توصيات غير ملزِمة.

د - الختام والانطلاق: تقديم فتقويم

بعد أحد عشر يومًا من المطارحات والمناقشات الصاخبة، اختُتم مؤتمر بيجينغ في ١٦ أيلول، وتضمّنَ «الإعلانُ» الصادر عنه و«برنامجُ العمل» المرفق، توصياتٍ كثيرة، بلغت في الوثيقة الثانية ٢٦٣ فقرة. وفي ما يلي أبرز ما جاء في الإعلان والبرنامج.

---

(٢٧) النهار، ١٤/٩/١٩٩٥، ص ١٣.
(٢٨) النهار، ١٤/٩/١٩٩٥، ص ١٣.
(٢٩) المرجع نفسه.

١ - أهمّ توصيات «إعلان بيجينغ»

- حقوق المرأة جزء لا يتجزّأ من كلّ حقوق الإنسان والحرّيّات الأساسيّة، في إطار روح إعلان حقوق الإنسان العالميّ والاتّفاقات الدوليّة.
- على الحكومات أن تسمح للنساء والفتيات بممارسة هذه الحقوق كاملةً، ومكافحة خرقها.
- زيادة إشراك المرأة في السلطة.
- على الرجال المشاركة في معركة تحقيق المساواة بين الجنسين.
- إنّ حقّ المرأة في الإشراف على كلّ الجوانب المتعلّقة بصحّتها، بما في ذلك خصوبتها، هو المنطلق لتحسين وضعها.
- ضرورة تعزيز استقلال المرأة الاقتصاديّ، وتمكينها من تحصيل العلم والتربية، والحصول على الرعاية الصحّيّة الأساسيّة، وتمكينها من الوصول إلى وسائل الاقتراض والعلوم وملكيّة الأراضي.
- ضرورة إزالة كلّ أشكال العنف التي تُلحق الأذى بالمرأة.
- القضاء على الفقر الذي يتطلّب مساهمةً متساويةً من المرأة والرجل في التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وتكافؤًا في الفرص.
- ضرورة وضع برامج حكوميّة عامّة تهدف إلى تعزيز حقوق المرأة.
- من الضروريّ أن يكون دور المجتمع المدنيّ حاسمًا، خاصّة دور المنظّمات النسائيّة غير الحكوميّة.
- ضرورة حصول التزام جدّيّ من قِبَل الحكومات والمنظّمات الدوليّة والمؤسّسات على جميع المستويات، وحشد القدرات على الصعيدَيْن الوطنيّ والعالميّ، لضمان نجاح هذا الإعلان.

٢ - أبرز توصيات «برنامج العمل»

- تعزيز حقوق المرأة على أساس أنّها جزء لا يتجزّأ من حقوق الإنسان.
- تشجيع مشاركة متساوية بين الرجال والنساء في الحياة السياسيّة والسلطة والقرار.
- إدخال مفهوم المساواة بين الجنسين في جميع القوانين والمبادرات

والسياسات العامّة.

- مكافحة تفشّي الفقر بين النساء، وكذلك عوامل تهميشهنّ (من هذه العوامل عدم الحصول على العناية الصحّيّة والتربية والمسكن والاستقلاليّة الاقتصاديّة...).
- تسهيل دخول المرأة عالم المال وتمتّعها بإمكان الاقتراض لمساعدتها على تأسيس شركات أو القيام بنشاطات تحقّق لها الكسب المادّيّ.
- ضمان حصولها على كلّ الخدمات الأوّليّة الضروريّة (التعليم والعناية الصحّيّة...) وكذلك وصولها، على قدم المساواة بالرجل، إلى الموارد الاقتصاديّة، وضمان حقّها في مجال الإرث، ووصولها إلى وسائل الاقتراض والتكنولوجيا والعلوم وملكيّة الأراضي.
- إحترام حقّ المرأة في الحياة الجنسيّة والإنجاب بحرّيّة ورضا من دون إكراه أو عنف، والسماح لها بالحصول على وسائل تنظيم الأسرة.
- إحترام حقّ المراهقين والمراهقات في الاطّلاع على الجنس وعلى الأمراض الجنسيّة لدى أجهزة خاصّة تضمن لهم السرّيّة مع الاعتراف بدور الوالدين في هذا المجال.
- إتّخاذ تدابير عاجلة لإلغاء كلّ أوجه التمييز في حقّ النساء.
- حظر تشويه الأعضاء التناسليّة (ختان الأنثى).
- إزالة العنف وأشكال الاستغلال الاجتماعيّ والاقتصاديّ والجنسيّ (كالاغتصاب، بما في ذلك الاغتصاب الزوجيّ، وأعمال العنف الجسديّة والنفسيّة، وبيع النساء، والزواج السريّ، والاتّجار بالأعضاء...).
- حشد كلّ الموارد الماليّة على الصعيدَيْن الدوليّ والوطنيّ - بما في ذلك إيجاد موارد جديدة للدول النامية من خلال المساعدات الثنائيّة والمتعدّدة الطرف والخاصّة... - لتمويل برامج خاصّة بالنساء.
- إتّخاذ تدابير لإلغاء ديون الدول الفقيرة أو خفضها.
- منح المنظّمات غير الحكوميّة والمنظّمات النسائيّة حرّيّة كاملة في العمل بسبب دورها الفاعل في تغيير المجتمع.

- إبرام معاهدة ١٩٧٩ المتعلّقة بإلغاء كلّ أشكال التمييز التي تطول النساء من دون أيّ تحفّظات.

٣ - إلى ذلك، اعترف برنامج العمل بعدد من الحقائق، ثمّة بعض ما نراه منها بالغ الأهمّيّة:

- إنّ الوقاية من الحمل غير المرغوب فيه أولويّة، ويجب تجنّب اللجوء إلى الإجهاض. كما يجب ألّا يكون الإجهاض وسيلةً لتنظيم الأسرة.
- للمرأة دور أساسيّ ضمن العائلة، والأمومة أمر مهمّ.
- للمرأة دور أساسيّ أيضًا في التنمية الاجتماعيّة.
- ثمّة وجود أشكال مختلفة للحياة العائليّة في العالم.
- إنّ عمليّات الاغتصاب في أثناء الحروبُ جرائم حرب وجرائم في حقّ الإنسانيّة.

تلكم قرارات وتوصيات، أجملْ بها من تطلّعات وأهداف، نظّرها مؤتمر بيجينغ وقدّمها إلى الإنسانيّة عامّة والمرأة خاصّة هديّةً ثمينة. ولكن كيف تُقَوَّم الحصيلة؟

٤ - الحصيلة والتقويم

لا بدَّ من فترة استرخاء والتقاط الأنفاس بعد ما جرى في بيجينغ من تهافت سريع، وانكباب لم يخلُ من التشنّج. وما إن تهدأ الخواطر ويسأل المراقب نفسه عمّا كان من أمر تلك المعمعة وما حُشد لها من طاقات، حتّى يُصاب أوّلَ وهلةٍ بشيء من خيبة الأمل. ويهمس في باله هامس متشائم: «أسمَعُ جعجعةً ولا أرى طحنًا»، ويهتف له هاتفٌ آخرُ مثلًا آخرَ يتمثّل به في هذه المناسبة: «تمخّضَ الجبلُ فولَدَ فأرًا».

○ بعض السلبيّات ..

وقد يزيد مَن يبالغ في التشاؤم تُعرب عن استيائه لِما رافق هذه التظاهرة الدوليّة من مظاهر فولكلوريّة حاكت الغرابة ودعت إلى الاستهجان، كما حصل لمّا طالبَت بنات الهوى بحقوقهنّ، معتبرات أنّ

عملهنّ من الأعمال النافعة في المجتمع. ومَثَلُهنّ كمَثَل مَن يدّعي أنّ ترويج المخدّرات عمل من الأعمال النافعة. والمهمّ هنا وهناك الاتّفاق على ما هو نافع وما هو مضرّ، وأين تبدأ المنفعة وأين تستحيل إلى ضررٍ!

ولا شكّ في أنّ هناك مَن أفاد من هذا الحشد الغفير في بيجينغ، وما سُلّط عليه من أضواء، ليَبرُز في الصدارة ويظهر على شاشات التلفزيون، مع قليل من الاستجمام والسياحة، فضلًا عمّا قيل من أنّ هذه أو تلك من زوجات القادة السياسيّين دعمت، بأسلوب غير مباشر، حملة زوجها الانتخابيّة[٣٠].

ولكن، مهما يكن من أمر هذه الهفوات الشكليّة، فهناك نقيصة واحدة أساسيّة لم يستطع المؤتمِرون تداركها، وهي أنّهم اضطرّوا إلى الاكتفاء بإعلانات عامّة تبقى في سوادها الأعظم على مستوى المبادئ. وهذا بيِّن لدى تصفُّح «الإعلان» الرسميّ. وسبب ذلك بيِّن أيضًا. إذ إنّه كان من الصعب التوفيق بين تقاليد عريقة يحتمي بها هذا الفريق أو ذاك، وهي على طرفَي نقيض، وغالبًا ما تتجذّر في ديانات لا يقبل أتباعُها أن تُمسّ تعاليمها لأنّها ليست من صُنع البشر. لذا توجّب على المؤتمِرين أن يجدوا حلولًا وسطًا، بها يُرضون الجميع. ومَن أراد أن يُرضي الجميع قَبِل بتنازلات وزاغ سهمه. وكثيرًا ما تُركت أمور حسّاسة جوهريّة لرحمة كلّ بلد وحكومة، مع الدعوة الخجولة إلى «اتّخاذ الخطوات والتدابير اللازمة»... غير الملزمة! ولهذا فإنّنا لَنشكّ، كما يشكّ سوانا كثيرون، في أن ترى السنوات الخمس التي تفصلنا عن موعد انعقاد المؤتمر التالي، تغييرًا جذريًّا في كثير من المواقف.

وعلى الرغم من هذا النقص الطبيعيّ، الذي لا مناص منه، إذا ما أُريدَ احترام مختلف القِيَم الدينيّة والأخلاقيّة والتقاليد، فلَمْ يخلُ المؤتمر من الإيجابيّات، ولم يكن عددها قليلًا.

---

(٣٠) راجع ما قالته إحدى المشاركات في الوفد الإنكليزيّ بعد مداخلة السيّدة هيلاري كلينتون التي لفتت الانتباه بعنفها: النهار، ٧/٩/١٩٩٥، ص ١١.

○ كثير من الإيجابيّات

في حفل اختتام المؤتمر، قالت أمينته العامّة، مشيرةً إلى أنّ عجلة ما بعد المنتدى قد انطلقت وإن بتواضع: «يقول مضيفونا في الصين إنّ رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة». ولا شكّ في أنّ مؤتمر بيجينغ خطا خطوة إلى الأمام، لا بل خطوات، وبعضها واسع. ولئن قُورن بالمؤتمر الذي التأم في نيروبي، العامَ ١٩٨٥، وقد قيل فيه إنّه البوصلة، فمؤتمر بيجينغ كان «الخريطة التفصيليّة» على حدّ تعبير أحدهم(٣١).

- فمن حسنات مؤتمر بيجينغ أنّه أعاد تأكيد ما سبق أن قيل في ما مضى، وتوافَقَ ممثّلو ١٨١ دولة على ضرورة تحسين أوضاع المرأة ورفع ما لحق بها من حيف ويَلحق.
- ومن حسناته أيضًا أنّه نجح في وضع الإصبع على بعض أسباب تردّي أحوال المرأة، وهي الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الدول الفقيرة، وشدّد على ضرورة تحسين هذه الظروف (من خلال تقديم المساعدات من قِبَل الدول الغنيّة)، لتحسين أوضاع المرأة وبالتالي تعزيز حقوقها.
- لقد اعترف المؤتمَر بما يقوم به الدين والحياة الروحيّة لرفع شأن الرجل والمرأة.
- أقرّ المؤتمر دور المرأة أمًّا.
- إعترف بأنّ للمرأة دورًا تقوم به في الحياة السياسيّة والشؤون العامّة، وبالتالي ينبغي تعزيز وعي المرأة قدراتِها في هذا المجال وفي المجالات الأخرى.
- إعترف المؤتمر بأنّ عمليّات الاغتصاب في أثناء الحروب هي جرائم حرب، ويجب أن يعاقَب مرتكبوها على هذا الأساس، فلا تعود المرأة ضحيّة عنف ليست مسؤولة عنه.
- طالب المؤتمر الدولَ بتوقيع المعاهدات الدوليّة التي لها صلة بالمرأة،

---

(٣١) النهار، ١٩٩٥/٩/١٦، ص ١٣.

فيصبح بذلك التزام هذه البلدان التزامًا قانونيًّا لا مجرّد كلام وتمنّيات.

- حقّق المؤتمر تقدُّمًا على سابقيه من جهة حقوق المرأة في حياتها الجنسيّة. فلمّا كانوا يعترفون لها في ما مضى بحقوقها مرتبطةً بشؤون الصحّة والإنجاب فقط، أُقِرَّ لها في بيجينغ أن تُحاط حياتها الجنسيّة بالاحترام وأن تتمّ في جوّ من التوافق والمسؤوليّة المشتركة.
- على وجه الإجمال، وقبل كلّ شيء، اعتُرف في بيجينغ بأنّ حقوق المرأة هي جزء لا يتجزّأ من حقوق الإنسان.
- ويبقى أمر إيجابيّ أخير، الأهمّ في نظرنا، وهو أنّ مجرّد اللقاء في مثل مؤتمر بيجينغ، إنّما هو فتح مبين. فاجتماع عشرات الآلاف من النساء، الآتيات من كلّ حدبٍ وصوب، على اختلاف مشاربهنّ وتقاليدهنّ ومستوياتهنّ الاجتماعيّة والثقافيّة، يثبّت أسسَ ثقافةٍ عالميّة شاملة تتمحور حول المرأة. فكلّ احتكاك يُنتج قبسًا من نور، وكلّ تواصُلٍ يصل أقلّه إلى هدف. وحَسْبُ هذه الجمهرة الغفيرة من النساء المناضلات أنّهن قرَعْن النواقيس، إن لم نقل قَرَعْن العِصيّ، وأنّهن أيقظْنَ النيام ونبّهنَ المتقاعسين، وحرّكن المياه الراكدة، ملائكةً شدَّةٍ ورحمة على حدّ سواء، كذاك الملاك الذي كان ينزل في بركة بيت ذاثا بأورشليم، فيَفُور الماء، ويتمّ، لمَن يغطس فيه، الشفاء (يوحنّا ٥: ٢).

بعض المراجع

يضاف إلى ما ورد في الهوامش:

- لوصف الماجريات: *The Tablet*, London, 9/9/1995, p. 1150-1151; 16/9/95, p. 1160-1163; 23/9/95, p. 1220-1221.

- للوثائق الفاتيكانيّة: *La Documentation Catholique*, Paris, 15 octobre 1995, p. 873-888.